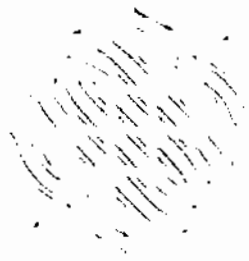

التوجيه الإسلامي للعلوم

أهميته ومفهومه وأسسه ومنهجه ومعوقاته

الأستاذ الدكتور

محمود أحمد شوق

أستاذ غير متفرغ بكلية التربية جامعة القاهرة

obeikandl.com

obeikandl.com

التوجيه الإسلامي للعلوم

أهميته ومفهومه وأسسه ومنهجه ومعوقاته

الأستاذ الدكتور
محمود أحمد شوق
أستاذ غير متفرغ بكلية التربية جامعة القاهرة

تواجه الأمة المسلمة مشكلات فى الكثير من بقاع الأرض. فهذه مشكلة أفغانستان تنخر فى عظام الأمة عقداً من الزمان، وهذه مشكلة فلسطين قاربت نصف القرن، وتلك مشكلات المسلمين فى كل من يوغسلافيا وكشمير وألبانيا وفرنسا والفلبين، والشيشان وغيرها وغيرها. ففى كل ركن من أركان المعمورة نجد للمسلمين مشكلة. ناهيك عن مشكلات التخلف العلمى والتقنى، وحاجة الكثير من أقطار الأمة إلى إستيراد الغذاء والكساء، ووسائل الاتصال والمواصلات، إلى غير ذلك من القائمة المتنامية من المشكلات التى تعيق نمو الأمة.

وماذا نتوقع من أمة تركت التربية الربانية التى خصها الله بها، وراحت تلملم من الشرق والغرب أنماطًا تربوية، خططت لتكوين شباب غير شبابها، ومجتمعات غير مجتمعاتها، بل لأمة غيرها، فكانت النتيجة استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير.

ومما يزيد الطين بلة، أنه كلما استشعرت الأمة الإسلامية تخلفها عن ركب التقدم المعاصر، أسرعت الخطى نحو الأخذ من الغير، ظنًا منها أن هذا هو الحل الناجح لتخلفها.

ومما جعل هذا التشتت وذلك الانفصام أكثر حدة وأشد قسوة على المجتمعات المسلمة، أنه فى عالمنا الذى نعيش فيه ـ حيث الفيض المعرفى ينهال، وحيث التقنية المستحدثة تترى، وحيث استطاعت وسائل الاتصال والمواصلات أن تعبر المسافات وتجتاح الموانع، وأصبح ما يحدث فى مكان ما من العالم يصل إلى أطرافه بصورة فورية ـ اتخذت الدول الأخرى من ذلك كله معبراً لغزو ديار المسلمين، بتكوين إحساس لدى شباب الأمة، بالغربة وهم فى أوطانهم وبين عشيرتهم ومع أبناء دينهم، وهذا هو أخطر بلاء تتعرض له أمة.

وأخطر أدوات الغزو الذى تتعرض له الأمة الإسلامية ـ من وجهة نظر الكاتب – هو ما يوجه إلى التعليم والثقافة عموماً، لذلك، فقد خص أعداء الإسلام، التعليم والثقافة بنصيب وافر من هجمتهم الشرسة ضد الإسلام والمسلمين.

ولما استشعر بعض علماء الأمة الإسلامية، ما تتعرض له أمتهم من غزو يستهدف النيل من هويتها الإسلامية، استنفروا قواهم من خلال رابطة الجامعات الإسلامية، لكى يعودوا بمشارب الأمة التعليمية إلى مناهلها الصافية، ومن بين ما نادوا بالأخذ به ما عرف بـ «التوجيه الإسلامى للعلوم» موضوع اهتمامنا فى هذا البحث، إذ يهدف هذا البحث إلى الإسهام فى تحديد ما يلى:

أولاً: أهمية التوجيه الإسلامى للعلوم فى صياغة مستقبل الأمة الإسلامية.
ثانياً: مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم والمصطلح المناسب للتعبير عنه.
ثالثاً: أسس التوجيه الإسلامى ومنهجه.
رابعاً: معوقات التوجيه الإسلامى.

أولاً - أهمية التوجيه الإسلامى للعلوم

(أ) المحافظة على الهوية الإسلامية :

إن الدافع الأول والأساس لتوجيه العلوم توجيهًا إسلاميًا، هو العمل على أن تكون تربية أبناء الأمة الإسلامية، تربية إسلامية. فمن الأمور المعروفة لدى المربين أن تنشئة الأجيال تعتمد اعتمادًا كبيرًا على ما يكتسبونه من خبرات ومهارات وأنماط للسلوك، وما يتعلمونه من قيم وأساليب تفكير. ولذلك، نجد الدين الإسلامى قد ركز - ليس على طلب العلم فقط - ولكن أيضًا على تطبيقه فى الحياة، وكلما كان ما يتعلمه الفرد مرتبطًا بعقيدته، وقيمه وحياته، ومشكلات مجتمعه كان أكثر تأثيرًا فى بناء شخصيته بناء سليمًا، وفى بناء مجتمع قوى البنيان. ولقد رأينا مثلاً حيا لهذا فى مجتمع صدر الإسلام.

فإن ديننا الحنيف، قد رسم لنا الطريق منذ أربعة عشر قرنًا خلت، حين جعلت التربية الإسلامية السلوك الذى حدده كل من القرآن الكريم والسنة المطهرة شخوصًا تضرب فى الأرض وأفرادًا تسعى بين الناس، وكونت مجتمعًا متفردًا فى نشره للخير والبر. وبها تربى أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وخالد وأسامة وبلال وغيرهم.

وأصول هذه التربية، ما زالت بين أيدينا، بل أن لدينا اليوم تقنية نستطيع بها تجويد تطبيقاتنا التربوية مع المحافظة على الأصول ذاتها.

فمن يدرس تاريخ مجتمع صدر الإسلام، يجد أن الدين الحنيف قد كون من هؤلاء، أنموذجًا فريدًا لمجتمع لم تشهده البشرية من قبل ولا من بعد. مجتمع قام على منهج الله، ولم يلتبس به شيء من ركام الجاهلية، أو التلوث من ثقافات خارجة عنه.

ولكى يصبح أنموذج هذا المجتمع حقيقة بين ظهرانينا، ينبغى أن تكون المهمة الأولى للأمة، أن تحافظ على مقوماتها، بأن توجه سلوك جميع أبنائها

وفى مؤسساتها إلى الالتزام بالإسلام قولاً وعملاً. فبهذا يسود السلام والتسامح والتآخى مع النفس ومع الغير من المسلمين وغير المسلمين، لأن الإسلام دين تسامح وتعاطف وتعاون على البر والخير.

ومن المشهود فى الوقت الحاضر، أن المجتمعات التى تعتلى منصة التقدم فى العالم، قد تبوأت مكانها هذا بتربية أبنائها تربية نابعة من جذور ثقافتها. فالمجتمع اليابانى، حين زلزلت الهزيمة فى الحرب العالمية الثانية كيانه لجأ إلى تربية خاصة به. وبهذه التربية كون أجيالاً نقلت المجتمع اليابانى إلى منصة التقدم العلمى والتقنى بين أمم العالم أجمع. وهذه ألمانيا، بعد هزيمتها الساحقة فى الحرب العالمية نفسها لجأت إلى التربية النابعة من المجتمع الألمانى، وبها انتقل الشعب الألمانى إلى موقع الريادة بين أمم الأرض. وهذه أمريكا حين سبقها الاتحاد السوفيتى فى تجارب الفضاء فى أواخر الخمسينات لجأت إلى استنفار تربوى أمريكى، وبه أصبحت أقوى دولة فى العالم دون منازع، وهذه مجرد أمثلة، يمكن أن نضيف إليها مجتمعات أوروبا الغربية وغرب وجنوب شرق آسيا وغيرها.

ومع اختلاف وسائط التربية ووسائلها فى هذه المجتمعات، فإن انطلاق هذه الأمة الإسلامية يتوقف على تربية أبنائها تربية نابعة من عقيدتها وأصيل ثقافتها وحمايتهم من التلوث الثقافى الذى يتعرضون له من البث المباشر، وغيره من الوسائط التى لا يتسع المقام لذكرها فى هذا البحث.

(ب) تنقية ما علق بمناهج مختلف العلوم من تلوث فكرى:

إن التلوث الذى لحق بالعلوم الاجتماعية ـ بخاصة ـ والعلوم بعامة، لما بين ثناياها من فكر غريب، وطرائق حياة، وخبرات دخيلة، جعلها تخالف التصور الإسلامى للإنسان والكون والحياة فى الكثير من منطلقاتها ومفاهيمها وحقائقها وتطبيقاتها. ولنبدأ بمناهج العلوم الاجتماعية التى يدرسها طلاب الجامعات فى العالم الإسلامى:

يقول محمد قطب عن مناهج علم الاجتماع التى يدرسها أبناء المسلمين:

«إننا حين نتحدث عن «الاجتماع فى مناهج التعليم» لا نجد كتباً إسلامية تحدثنا عن الاجتماع فننقل آراء مفكرى أوروبا، وأن الذى ينشر على طالب العلم فى معظم بلاد العالم الإسلامى هى نظريات «دور كايم» اليهودى. ويضيف فضيلته أن الأولى، أن نقدم نظرية اجتماعية إسلامية متكاملة (المرجع٥، ص١٩٤)(*).

وهذا على وجه العموم، أما أبناء المسلمين على وجه الخصوص فقد خصهم أحد علماء أوروبا فيما يتعلق بتعليمهم الأدب الأوروبى بقوله: «إن تعليم الأدب الأوروبى على هذا الشكل الذى يسود اليوم أكثر من المؤسسات الإسلامية يقود إلى جعل الإسلام غريباً فى عيون الناشئة المسلمة (المرجع ٦، ص٢٦).

وما أخالنى بحاجة إلى إضافة جديدة عن أثر تدريس مناهج العلوم الاجتماعية التى تقدمها معظم الجامعات فى العالم الإسلامى إلى شباب المسلمين، بما فيها من تلوث فكرى.

وماذا عن مناهج العلوم التطبيقية البحتة؟

تحمل مناهج العلوم التطبيقية والبحتة ـ مثل العلوم الاجتماعية ـ بذور التبعية وعوامل الغزو التربوى. وقد عبر راشد المبارك عن ذلك فى تساؤله الذى طرحه فى «الندوة العالمية للشباب الإسلامى» وفى إجاباته عليه، إذ تساءل: إلى أى مدى ترتبط مناهجنا فى التعليم، وطريقة تدريس هذه المناهج بتصورنا عن فلسفة الكون، وطبيعة الحياة؟ ذلك التصور المستمد من إيماننا بالله. وبعبارة أخرى، هل هذه المناهج وطريقة تدريسها ترتبط بهذا التصور وذاك الإيمان؟

ويجيب راشد المبارك على تساؤله قائلاً:

لعلى لا أكون مخطئًا إذا ما قلت: إن المرء سيضنيه البحث دون أن يعثر

(*) يشير العدد الأول فى هذا الثنائى المرتب إلى رقم المرجع فى قائمة المراجع، ويشير العدد الثانى إلى رقم الصفحة فى هذا المرجع.

على مثل هذه الصلة. إن العلوم فى أكثر الجامعات الإسلامية تدرس وهى مقطوعة الصلة بهذا التصور. وتلك الصورة من صور التقليد أو التبعية لما يحدث فى الغرب (المرجع٥، ص ١٣٠).

يضاف إلى ما سبق، أن من يتخصص من شباب المسلمين فى هذه العلوم لا يرى إلا علوماً استحدثت فى الغرب أو الشرق، فيقر فى أذهانهم ـ وحال المسلمين اليوم كما نعلم ـ أن التقدم وقف على غير المسلمين. وخاصة أنه يسمع الإذاعة، خلال أجهزتهم، ويرى التلفاز الذى صنعوه، ويسمع عن الأقمار الصناعية التى ابتكروها. فهلا علمنا هؤلاء الشباب عن علماء أمتهم السابقين، وما استحدثوه فى الماضى، وعلماء أمتهم المحدثين الذين يشتركون فى صنع ما يرونه من حضارة غلابة فى هذه البلدان؟!! فحضارة هذه البلدان ليست نتاجاً خالصاً لأبنائها، ولكن أسهم فيها بقدر وافر عقول مبدعة استنزفت من بلاد المسلمين وغيرها من بلدان العالم الثالث.

من أجل درء هذا الغزو الذى يتعرض له أبناء المسلمين، وصولاً إلى خلخلة عقيدتهم وتشويه شريعتهم وصرفهم عن العبادات، وفك التزاماتهم بالأخلاق الإسلامية، تنادى علماء الأمة الإسلامية، والغيورون على دين الله أن اغدوا من معاهد التعليم، وما يشاهدونه ويسمعونه ويقرؤنه فى وسائل الإعلام وما يؤثر فى حياتهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، من منظور الدين الحنيف، وأن ادرسوا وحللوا وقوموا بهدف العودة إلى هذه الرياض، واستدلوا بمناهج الأولين والمحدثين، واستفيدوا من كل فكر مناسب بغض النظر عن مصدره ـ وأشربوا من كل منهل أصيل، لتعودوا بأبناء الأمة إلى منهج دين الله الخالص، وليكون ما يتعلمونه وفق منظور الإسلام للإنسان، والكون والحياة والمعرفة وتواكبون ركب التقدم.

من أجل تحقيق هذا الهدف، بدأ العلماء والمهتمون، فى البحث وتبادل الرأى، وعقد المؤتمرات والندوات،ونشر الاجتهادات وتكوين اللجان، لكى

يعيدوا للمناهج التعليمية فى ديار الإسلام نقاءها، وإلى ثقافة الأمة صفاءها.

(جـ) الإسهام فى التفاعل البناء مع العولمة وآثارها المستقبلية:

تغشى العولمة بخيرها وشرها أرجاء العالم. وقد توافر لمن وراءها يد طولى فى التقدم العلمى والتقنى، ووسائل فعالة فى الاتصال والمواصلات، وأساليب كافية فى البحث والتطوير، وانتشار إعلامى غلاب، وتدفق معلوماتى غزير، ومؤسسات اقتصادية وكيانات سياسية راسخة ومتنامية، وتنمية فى مختلف المجالات، سباقة.

وهى بهذا كله، تفرض على من يتفاعل معها تفاعلا بناء أن يكون قادراً على المواكبة والصمود، وللتوجيه الإسلامى للعلوم فى هذا نصيب وافر. فمن حيث المواكبة، فإن التوجيه الإسلامى للعلوم لا يعنى بمحتوى العلوم ومصادرها وطرائق اكتسابها فقط، ولكن يعنى أيضاً بتوجيه مناهج البحث فيها والحرص على مواكبة المستحدث واستفراغ الطاقة فى طلبها وفى تطبيقاتها. فهكذا يكون العلم نافعًا. وبهذا يكون العلماء ورثة الأنبياء فى قيادتهم للمجتمعات، وريادتهم لها نحو الرشد والهداية.

ومن حيث الصمود أمام ما تأتى به العولمة من مخاطر تربوية وثقافية واجتماعية، فإن التوجيه الإسلامى للعلوم يدعم هذا الصمود عن طريق الإسهام فى بناء الشخصية المسلمة السوية، والقادرة على الانتقاء البصير، والتى لا تنعطف مع المغريات، ولا تفرط فى الثوابت، وتتعامل بمرونة عند الاختلاف، وتتفاعل بسماحة مع الآخر. فهذه هى روح الإسلام، وهذه هى التربية الإسلامية التى تعنى بالحاضر بكل أبعاده وبالمستقبل بجميع تفاعلاته.

ثانيًا – المفهوم والمصطلح

(أ) المفهوم :

يقتضى المنهج العلمى، تحديد معنى المصطلحات التى سوف تستخدم فى تناول القضايا العلمية حتى لا تختلف المفاهيم وفق اختلاف التفسيرات المتعلقة بها. ويشتد هذا الاختلاف إذا كانت القضية المراد دراستها جديدة على ساحة البحث العلمى، إذ تكثر حولها الاجتهادات، وتتباين فيها وجهات النظر، ومن بين هذه القضايا العلمية المعاصرة التى اختلف فيها المهتمون بها، قضية توجيه العلوم توجيهًا إسلاميًا، فقد اختلفوا فى المفهوم كما اختلفوا فى المصطلح.

وقبل أن نناقش الاختلاف فى المفهوم، نذكر أننا نعنى بالمفهوم هنا: ذلك التجريد العقلى للصفات المشتركة بين مجموعة من الخبرات أو العناصر أو الظواهر (المرجع١١، ص١٦٠).

فالمفهوم إذن ـ تصور عقلى أو فكرة مجردة ـ لا يمكن التعامل معه حسيًا، ولكن يمكن استخدام تمثيل حسى له، مثلما نعبر عن المثلث بثلاثة خطوط متقاطعة مثنى مثنى، ومثلما نعبر عن الخطر برسم جمجمة ونعبر عن العدل بميزان متعادل الكفتين، كما يمكن أن نعبر عن كل منها بكلمة أو عبارة. فقد عبرنا عن هذه المفاهيم الثلاثة ـ على الترتيب ـ بالكلمات مثلث وخطر وعدل.

فماذا يمكن أن نفهم مما يشار إليه بعبارة « التوجيه الإسلامى للعلوم » أو ماذا تعنى « التوجيه الإسلامى للعلوم »؟

عرف أحد الباحثين التأصيل الإسلامى للعلوم « التوجيه الإسلامى للعلوم » بمايلى:

إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام بها،أى إعادة تجريد وترتيب المعلومات، وإعادة النظر فى استنتاجات هذه المعلومات وترابطها،

وإعادة تقويم النتائج، وإعادة تصور الأهداف، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن من إغناء وخدمة قضية الإسلام (المرجع٢ ، ص٥٤) .

وعرفه آخر بأنه :

اشتقاق الأسس الشرعية والاستفادة مما توصل إليه علماء الغرب من نتائج مادية تساهم فى عمارة الأرض وقيام الإنسان بوظيفته المرتضاة له دينا، وتوجيه هذه النتائج فى سبيل تحقيق الغاية من هذا الوجود (المرجع ٩ ، ص٣٣ ـ ٣٤) .

وعرفه ثالث، بالصيغة التالية :

إسلامية المعرفة أو « أسلمة المعرفة » تعنى : ممارسة النشاط المعرفى كشفاً وتجميعاً وتوصيلاً، من زاوية التصور الإسلامى للكون والحياة والإنسان .

وبين ما قصد بـ « النشاط المعرفى » بأنه إضافة أو « تسليط العقل البشرى » ـ أو بعبارة أدق « القدرات العقلية والبشرية » ـ على الظواهر المادية والحيوية والروحية والإنسانية فى مدى الكون والعالم والحياة (المرجع ٨، ص١٥) .

وعن شمول المعرفة للإنسان والكون، قال : إن قطبى التعامل : الإنسان والكون، هما من صنع الله الذى أتقن كل شئ . . فمن الطبيعى أن تتشكل مفردات هذا التعامل من منظور الإيمان بالله خالق الكون والحياة والإنسان . . . وكان من الطبيعى أن تسلم المعرفة بهذه الحقيقة الكبرى، أى أن تكون « إسلامية » بهذا المعنى الواسع الذى يضع الأمر فى نصابه من نطاق الملكوت الإلهى وسننه ونواميسه .

وبالنسبة لنطاق الأسلمة فى العلوم، قال : إن هذه « الإسلامية » لا تنسحب فقط على ما يسمى بالعلوم الصرفة (البحتة) والتطبيقية فى التعامل مع الوجود، وإنما تمتد بالضرورة إلى ما يعرف بدائرة العلوم الإنسانية . بل إنها فى هذه أشد ضرورة لأنها المعنية بترتيب وضع الإنسان فى العالم، وتنظيم حياته بما يجعله قادراً على تحقيق مهمته فى العالم (المرجع ٨، ص ١٦) .

ثم قال: ومن ثم تغدو هذه العلوم التى تعالج الإنسان فرداً، كعلم النفس مثلاً، وتلك التى تعالجه جماعة كعلم الاجتماع والتاريخ، أو تلك التى تستهدف دراسة وتنظيم مؤسساته العامة كعلوم الإدارة، أو حماية حقوقه وتنظيم واجباته كالقوانين والتشريعات، أو متابعة رؤيته الجمالية ونشاطه التعبيرى كالآداب والفنون. تغدو هذه العلوم جميعاً فى حاجة إلى أن تتشكل هى الأخرى فى دائرة «الإسلامية» وأن تستمد مناهجها وطرائق عملها، بل أن تبنى مفرداتها من نسيج المعطيات الدينية التى حددها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ـ ونماها النشاط الفقهى بمرور الزمن عن طريق استجابته للتحديات ومتابعته للمتغيرات الزمنية والمكانية. وذلك من أجل أن تصبح الحياة البشرية، بمختلف أنشطتها وصيغها، إسلامية التوجيه، إسلامية الممارسة، إسلامية المفردات. ويتم بذلك تجاوز كل ما من شأنه أن يقود إلى الثنائية أو الازدواج بين التوجيه الإلهى ذى العلم المطلق، وبين اجتهادات الإنسان المتضاربة (المرجع ٨، ص ١٦).

وتعنى «إسلامية المعرفة» عند باحث رابع:

منهجية إسلامية قويمة شاملة تلتزم توجيه الوحى ولا تعطل دور العقل، بل تتمثل مقاصد الوحى وقيمه وغاياته وتدرس وتدرك، وتتمثل موضوع اهتمام الوحى وإرشاده، وهو الفرد والمجتمع الإنسانى والبناء والإعمار الحضارى، وما أودع الله فى هذه الكائنات والعلاقات من فطرة ومن طبع، وكيف توجه تلك الطبائع وتتفاعل وكيف تطوع وتستخدم. وكل ذلك من أجل تفهم هذه الكائنات وعلاقاتها حتى يمكن تسخيرها لتوجيه الإسلام وغاياته (المرجع ٣، ص١٦٧ ـ ١٦٨).

ويقول باحث خامس بعد أن سأل:

ما هى «إسلامية المعرفة» التى نقترحها حلاً لأزمتنا المعرفية والفكرية وأزمة العالم معنا وكيف يمكن تحقيقها؟

تتحقق إسلامية المعرفة بقراءة كتابين، وتؤسس على تقابلهما وتكاملهما منهجًا فى البحث والاكتشاف، وهما: الوحى المقروء، والكون المتحرك الذى يتضمن ظواهر الوجود كافة. فالقرآن العظيم كالكون البديع، كلاهما يدل على الآخر ويقود إليه. فالقرآن يهدى إلى الكون، والكون يدل ويرشد إلى القرآن (المرجع ١، ص ١٥).

ويقول باحث سادس، التأصيل الإسلامى لهذه العلوم (علوم الإنسان):

يعنى العودة إلى أصول الشريعة الإسلامية باعتبارها المنهج الرئيسى والمعيار الأساسى الذى تستمد منه هذه العلوم أسسها ومنطلقاتها فى التفسير والتحليل والتقويم والتأويل، وبحيث لا يبقى من خلال عملية التأصيل تلك، ما علق بهذه العلوم من شوائب نظرية وأفكار غربية أو شرقية لا تتفق مع الإسلام غاية ومنهجًا ومسارًا (المرجع ١٠، ص ٣٠).

وقدمت اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تعريفًا للتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية بأنه:

«تأسيس تلك العلوم على ما يلائمها فى الشريعة الإسلامية من أدلة نصية أو قواعد كلية، أو اجتهادات مبنية عليها. وبذلك تستمد العلوم الاجتماعية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة، ولا تتعارض فى تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع الأحكام الشرعية، ولا يعنى ذلك بطبيعة الحال أن تدخل العلوم الاجتماعية فى إطار العلوم الشرعية، وإنما المهم ألا تتعارض معها».

ويجد الكاتب أن عملية التأصيل بهذا المفهوم العام يمكن تعميمها على جميع العلوم، لأنها لا تتعارض مع أى تقدم علمى وتطور منهجى ولا تناقض المنهج الإسلامى، على أساس أن الإسلام دعا إلى العلم وحث عليه فى كل زمان ومكان.

ويعرف أحد الباحثين: «التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية» على النحو التالى:

« التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية أو التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية ـ اختصاراً ـ بأنه بلورة أبعاد التصور الإسلامى للإنسان والمجتمع والكون، واستخدام هذا التصور كأساس معرفى تنطلق منه العلوم الاجتماعية ليكون موجهًا لنظريتها ومفسراً لحقائقها ومشاهداتها، التى ثبتت صحتها بالتجربة أو الدليل العلمى المحقق (المرجع ١٠، ص١١) ».

ويرى الكاتب فى هذا التعريف محاولة لتوضيح الصورة التى ينبغى أن تكون عليها العلاقة بين معطيات التصور الإسلامى من جانب، وبين معطيات المشاهدة الحسية التجريبية من جانب آخر، على أساس أن التصور الإسلامى المنطلق من اجتهاد المسلمين فى فهم الوحى يمثل الإطار النظرى الأشمل الذى ينطلق من التنظير لفهم الإنسان والمجتمع ـ سواء فيما يتصل بأحوالهما فى هذه الحياة أو الحياة الباقية ـ والذى يتم فى ضوئه تفسير الحقائق والملاحظات والمشاهدات التى يتم التوصل إليها من خلال الدراسات الواقعية.

ويرى الباحث أن تعريف « اللجنة الدائمة للتأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية » بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يفى بالتعبير عن مفهوم « التوجيه الإسلامى للعلوم »، على وجه العموم، إذ بتحليل هذا التعريف، نستنتج ما يلى:

١ ـ النظر إلى جوهر عملية « التوجيه الإسلامى للعلوم » بأنه تحديد الأسس الشرعية المناسبة لتأسيس العلوم المراد تأصيلها عليها.

وهذه خطوة مهمة إذ إنها تساعد المتخصصين فى العلوم المراد تأصيلها ـ وهم ليسوا بالضرورة متخصصين فى العلوم الشرعية ـ على معرفة بالأسس الشرعية التى يمكن أن ينطلقوا منها فى بناء هذه العلوم وتنميتها، كما تساعد المتخصصين فى العلوم الشرعية على فهم أعمق لطبيعة العلوم المراد توجيهها من خلال التعرف على هذه العلوم تمهيداً لانتقاء الأسس الشرعية التى تتعلق بها من نصوص الشريعة وقضاياها الكلية.

٢ – أن هذا التوجيه ينبغي أن يتناول أسس العلوم المراد توجيهها ومنطلقاتها وتحليلاتها وتطبيقاتها، ويضيف المؤلف «وبناؤها». فهذا يجعل عملية التأصيل عملية إعادة بناء للعلوم وليس كسوتها بقشرة خارجية فقط، لا تصل إلى الجوهر.

٣ – أن هذا التأسيس ينبغي أن يستند على أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليها، وليس أراء فردية.

وهذا يجعل من عملية التوجيه عملية موضوعية، وينأى بها عن التحيزات الشخصية.

٤ – الاعتراف بخصوصية العلوم المراد تأصيلها من حيث منهجية البحث وأساليبه وأدواته وغير ذلك، على ألا يتعارض هذا كله مع الشريعة الإسلامية. وهذا يساعد العلوم على الانطلاق في النمو، ويشجع المتخصصين فيها على الإبداع والابتكار. ولكنه – في هذا الحال – انطلاق وإبداع وابتكار لا يتعارض مع التوجيه الإسلامي.

٥ – أنه حرص على حرية البحث والتطوير والاجتهاد واختيار المنهج المناسب واستثمار خبرات الآخرين – بغض النظر عن توجههم وعقيدتهم – ما دام هذا كله لا يخالف الشريعة الإسلامية.

(ب) المصطلح :

كما تعددت الرؤى بالنسبة للمفهوم تعددت المصطلحات التي تعبر عنه. فقد استخدم البعض مصطلح «أسلمة العلوم» أو «أسلمة المعرفة» أو «إسلامية العلوم» أو «إسلامية المعرفة». واستخدم آخرون مصطلح «تأصيل العلوم» واستخدم فريق ثالث «التوجيه الإسلامي للعلوم». ولكل مصطلح من هؤلاء إيجابياته وسلبياته.

فالذين يستخدمون مصطلح «أسلمة العلوم (المعرفة)» أو مصطلح

« إسلامية العلوم (المعرفة) » يرون أن العلوم وبخاصة العلوم الاجتماعية قد نمت في حضن ثقافات غير إسلامية، ومن ثم تلوثت من هذه الثقافات. وبناء عليه، فإنها في حاجة إلى أن تمحص على أساس الدين الحنيف من حيث المنطلق والمنهج والأدلة النصية والقواعد الكلية، ومن حيث عدم تعارضها مع الأحكام الشرعية في تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها.

والذين لا يوافقون على هذا المصطلح إنما يرون أنه ينظر إلى العلوم المراد « أسلمتها » على أنها علوم كافرة. وهي نظرة مغلوطة، إذ لا يمكن النظر إلى العلوم من حيث كونها علوماً مسلمة وأخرى كافرة. فالعلوم ـ بذاتها ـ لا تؤمن ولا تكفر.

والذين يستخدمون مصطلح « تأصيل العلوم » إنما يرون أن العلوم المراد تأصيلها، لها أصل في الدين الإسلامي بحكم: أن الإسلام شامل لجميع عناصر الكون، صالح لجميع الأزمنة والأمكنة، شامل لعلوم الوحي وعلوم الاكتساب، شامل للحياتين الدنيا والآخرة، شامل لجميع مناشط الحياة. وخاصية الشمول هذه استقصائية جامعة مانعة، وذلك مصداقًا لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

بناء على ما سبق، فإن جميع العلوم سابقها وحاضرها وغائبها لها أصل في كتاب الله ـ القرآن الكريم ـ ومن ثم فإن تصحيح مسار هذه العلوم من وجهة النظر الإسلامية تعني العودة بها إلى أصلها الذي انفصلت عنه.

والذين لا يوافقون على هذا المصطلح، يرون أن كلمة التأصيل تعني « العودة إلى الأصل » وهذا يعني أن جميع العلوم مثل الكيمياء والرياضيات وعلوم الحاسب الآلي وعلوم الفضاء والعلوم الاجتماعية لها أصل في القرآن. وهذا غير صحيح، لأن القرآن ليس كتاباً منزلاً في أي من هذه العلوم. بل هو كتاب هداية، يهدي ـ ما بين ما يهدي إليه ـ إلى النظر في الكون ـ خلق الله المنظور ـ للتدبر والتفكر في بديع صنعه وإعمال العقل في الكشف عن كوامن

خلقه، وصولاً إلى العلم اليقينى بوحدانيته والاعتراف بقدرته المتفردة، ولنعمل على الوفاء بتكليفه للإنسان بعمارة الأرض. وبناء عليه فإن اعتبار وجود أصل لكل علم في القرآن أو السنة أو غيرهما من مصادر الدين الحنيف أمر فيه نظر.

والذين يستخدمون «التوجيه الإسلامى للعلوم» ـ والكاتب منهم ـ يرون أن كون الإسلام ديناً صالحًا لكل زمان ومكان، محيط بالحياتين الدنيا والآخرة وشامل لجميع جوانب حركة الإنسان بالمعنى الذى يجعل هذه الإحاطة وهذا الشمول مستقصيًا يرجع إلى أن القرآن يحوى مبادئ عامة وقضايا كلية، تهدى الإنسان وتوجه حركته إلى اتباع منهج الله فى جميع جوانب حياته سواء بالنسبة للعقيدة أو الشريعة أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق، وفى جميع ما يقول وفى كل ما يعمل.

وبناء عليه، فإن اصطلاح «التوجيه الإسلامى للعلوم» ينطلق من هذه المبادئ العامة وتلكم القضايا الكلية ليحقق خاصية صلاح الإسلام لكل زمان ومكان، مهما تغيرت العلاقات بين عناصر الكون بتغير الأزمنة والأمكنة، كما يحقق عدم تعارض الحقائق الدينية فى كتاب الله المسطور ـ وهو القرآن الكريم ـ مع الحقائق الكونية فى خلق الله المنظور ـ وهو الكون، والذين يوافقون على مصطلح التوجيه الإسلامى يرون أنه يتعلق بعلوم كائنة فعلاً، ويخشون ألا يمتد إلى استنباط هذه العلوم أو اكتشافها، وألا يتعرض لبنيتها والعلاقة بين عناصرها.

وهذا تخوف لا مجال له ـ من وجهة نظر الكاتب ـ إذا رجعنا إلى تعريف مفهوم «التوجيه الإسلامى للعلوم» الذى تخيرناه سابقًا من حيث إنه تأسيس للعلوم المراد توجيهها على ما يلائمها فى الشريعة الإسلامية من أدلة نصية وقواعد كلية واجتهادات مبنية عليها، وأن هذه العملية تتناول أسس هذه العلوم ومنطلقاتها وبناءها بحيث لا تتعارض فى تحليلاتها ونتائجها وتطبيقاتها مع الأحكام الشرعية. وغنى عن القول، أن هذا ينطبق على جميع العلوم السابقة منها واللاحقة.

ثالثًا – أسس التوجيه الإسلامى للعلوم ومنهجه

(أ) الأسس :

يحدد أحد الباحثين هذه الأسس بقوله : يتطلب التأصيل الإسلامى للعلوم (التوجيه الإسلامى للعلوم) توافر الشروط الثلاثة الآتية مجتمعة (المرجع ١٠، ص١٣) :

١ ــ انطلاق من إدراك واضح لأبعاد « التصور الإسلامى » للإنسان والمجتمع والكون، المنبثق من الكتاب والسنة ولما يتضمنه تراث الإسلام مما يرتبط بالتخصص، مع نظرة نقدية لاسهامات علماء المسلمين حول قضاياه.

٢ ــ استيعاب « العلوم الحديثة » فى أرقى صورها، مع القدرة على نقدها، والاستفادة منها، وتجاوزها بشكل بناء كلما اقتضى الأمر ذلك.

٣ ــ إيجاد « تكامل حقيقى » بين معطيات التصور الإسلامى من جانب، وبين إسهامات العلوم الحديثة من جانب آخر، وليس مجرد الجمع أو التجاور المكانى أو حتى المزج بينهما دون وحدة حقيقة.

ويحدد باحث آخر هذه الأسس بقوله : (المرجع ٤، ٣٧، ٤١).

يرتكز مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم على أسس عامة أهمها ما يأتى :

(١) عقيدة التوحيد :

فتوحيد الله تعالى هو الأصل الأول الذى بعث به رسل الله حتى تتحرر البشرية من أسر الأهواء والشهوات، وتتجرد فى حياتها لله تعالى ــ الخالق المدبر ــ انقيادًا لدينه، وخضوعًا لشرعه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وعقيدة التوحيد فى الإسلام هى حجر الزاوية فى رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الكون والإنسان والحياة. فإن الله تعالى هو الحق المطلق، وهو مصدر كل حقائق المعرفة وصاحب التوجيه بالنظر إلى الكون وتدبر نظامه واستقراء الظواهر الطبيعية والإنسانية، باعتبارها من سنن الله الكونية والاجتماعية، واستنباط قوانينها العامة وقواعدها الكلية. وبهذا يكون العلم فى المفهوم الإسلامى أوسع وأشمل من المفهوم الشائع لدى الكثيرين من فلاسفة العالم. إذ يشمل عالم الغيب بمصادره الموحى بها التى تنظم العوالم فى سلك واحد وتصل أولها بآخرها، وعالم الشهادة الذى يدركه الإنسان بحواسه وعقله مع الإيمان بأن أسرار عالم الشهادة من خلق الله. وهذا يجعل العلم من المنظور الإسلامى دنيوياً بالبحث فى الكائنات والاستفادة من طاقاتها، وإلهياً لصلة هذه الكائنات بالله الخالق المدبر، الواحد جل وعلا. واستقرار هذا المعنى في وجدان الباحث المسلم، هو الذى يوجه الحضارة الإنسانية توجيهاً إيمانيا مهتدياً رشيداً، يحقق للإنسان الرفاهية والتقدم فى إطار عقيدة التوحيد.

(٢) استيعاب العلوم الحديثة:

إن الدعوة إلى «التوجيه الإسلامى للعلوم» لاترمى الميراث العلمى للحضارات السابقة وراءها ظهرياً لتبدأ بمعارف جديدة، ولكنها امتداد لتلك الحضارات مع انتقاء واختيار، ولا يأتى الانتقاء والاختيار إلا لمن أحاط بها إحاطة وافية.

فعلينا أن ندرس العلوم الحديثة دراسة مستفيضة، ونستوعبها استيعاباً كاملاً، ونحللها تحليلاً دقيقاً، وندرس نشأتها ونموها وتطورها التاريخى. فإن النتائج العلمية الخالصة فى الحضارات السابقة والمعاصرة هى أساس أى بناء حضارى جديد «التوجيه الإسلامى للعلوم» يعتمد على مسلماتها العلمية ومناهجها الرصينة، ويساعد على الإبداع الذى يزيح عن الأعين غشاوة الانبهار، وعماية التقليد، ويعين على أن تكون العلوم والمعارف المتوارثة فى خدمة الفكر الإسلامى.

والحضارة الإسلامية التى ننشدها ليست بالحضارة الرافضة ولا بالحضارة المقلدة، ولكنها الحضارة التى تستوعب التراث الحضارى السابق، وتنتقى وتختار وتبتكر وتبدع، وتتخلص من شوائب التغريب، وتتحرر من ذل العبودية، وتواصل مسيرة البناء الحضارى الأمثل.

(٣) التمكن من الأصول الإسلامية :

والمنهج الإسلامى الذى نريده يوجب على الباحث أن يتمكن من منابع الثقافة الإسلامية ومصادرها الأصلية فى الكتاب والسنة، والتراث العلمى الذى تركه لنا العباقرة من العلماء المسلمين، فإن هذا هو الذى يعطينا المعايير الأساسية للنقد والتمحيص، ويضع لنا فى يدنا النبراس الذى نهتدى به إلى المنهج الإسلامى القويم، والرؤية المستقبلية لمسارنا الحضارى المرتقب.

ولا يعنى هذا أن يدرس علماؤنا فى مجال العلوم الكونية والعلوم الإنسانية مصادرنا الشرعية الأصيلة دراسة متخصصة، فإن هذا شأن المتخصصين فى العلوم الشرعية، إنما نعنى بذلك أن يكون هؤلاء العلماء على إدراك كامل لأسس الإسلام العامة ومبادئه الكلية الاعتقادية والفكرية حتى يكون لديهم المعايير الصحيحة للعلوم والمعارف وفق مفهوم الإسلام، وتتكون لديهم ملكة النقد النزيه البصير لاستخلاص المفيد من التراث العلمى ـ فى الحضارات كلها بعامة وفى حضارتنا بخاصة ـ فى كل مجالات العلوم، واختيار ما يتفق مع روح الإسلام وأطر مناهجه، وذلك حتى ينطلق الإبداع الإسلامى على هدى وبصيرة يعالج مشكلات العصر وتحدياته، ويبنى للإنسانية كيانًا حضاريًا معاصرًا على منهج علمى وتحليلى متكامل يأخذ من القديم أرسخه،ومن الحديث أروعه، ويقدم ثمارًا جديدة للمعرفة تنعم بها البشرية فى ظل مبادئ الإسلام وقيمه وأهدافه وغاياته.

(٤) العمل الدائب على مواصلة البحث العلمى :

إن العلم بحر لا ساحل له، ونهر جار لا ينتهى مجراه. فالحقيقة العلمية التى

يصل إليها الباحث بعد دراسة ظاهرة معينة، دراسة تحليلية دقيقة لاستنباط القوانين العامة التى تفسر هذه الظواهر، لا تمثل إلا جزءًا يسيرًا من الحقائق العلمية الكبرى، وليست ـ فى مفهوم الإسلام ـ نهاية المطاف فى البحث العلمى بل ينبغى ـ طبقًا لهذا المفهوم ـ متابعة البحث والتعمق فيه، فى هذه الجزئية وفيما يتصل بها من جزيئات الكون التى لا تحصى، مما له علاقة بموضوع البحث لاكتشاف حقائق علمية جديدة وتصحيح المسار العلمى. وليس هناك فى مفهوم الإسلام المعرفى من يدعى أنه وصل إلى نهاية المعرفة العلمية وبلغ ذروتها، لأن أسرار الكون لا تنتهى، والحقائق العلمية الكبرى عن الوجود، يكتشف العلم كل جديد فيها بالتعمق فى البحث واتساع دائرته. وما يصل إليه العلماء فى أبحاثهم من قوانين المعرفة يمثل جزءًا يسيرًا من تلك الحقائق العلمية الكبرى. وهذا الأساس من أسس التوجيه الإسلامى للعلوم يشير إليه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥]

وقوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]

وقوله تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] وهذا يحمل العلماء المسلمين على استمرار البحث العلمى وتتبع جزئياته والتعمق فى دراسته، فيظل العلم ناميًا متطورًا تجنى البشرية من ثماره كل جنى مستطاب وتبدع وتبتكر وتجدد.

فى ضوء ما سبق يمكن أن نحدد أهم أسس عملية « التوجيه الإسلامى للعلوم » على النحو التالى:

١ ـ أن ينطلق التوجيه الإسلامى للعلوم من الدين الحنيف عقيدة وشريعة وعبادة ومعاملات وأخلاقًا.

فالإسلام دين متكامل الأركان، والعقيدة فيه هى حجر الزاوية، وهى تولد

فى المسلم الطاقة الإيمانية التى تتملك وجدانه حبًا لله وتمسكًا بالعبودية له وامتثالاً لأوامره ونواهيه. والشريعة تحدد مجالات حركة المسلم وحدودها وفق منهج الله، وتكون العبادات مجالاً لحركة الإنسان للوفاء بما كلفه الله به، وتقدم المعاملات والأخلاق مجالات للسلوك وفق هذا المنهج.

٢ ـ أن يقوم هذا التوجيه على دراسة العلوم الحديثة دراسة مستفيضة، ويحافظ على مواكبة التطورات الحديثة فيها. فإذا أردنا أن ينطلق التوجيه الإسلامى للعلوم من الدين الحنيف، فإن استيعاب كل من العلوم الشرعية ذات العلاقة والدراسة المستفيضة للعلوم المراد توجيهها إسلاميًا، تكون أهم أسس هذا التوجيه، على الإطلاق. فلهذه العلوم طبيعة خاصة وأساليب البحث فيها تعتمد على الملاحظة والتجريب ـ فى كثير من الأحيان ـ وغيرها من الأساليب غير المتوافرة فى بحوث العلوم الشرعية. لذلك فإن التنسيق المطلوب بين الأسس الشرعية والعلوم المراد توجيهها إسلاميًا لا يتم إلا بناء على فهم واستقصاء علوم المجالين.

٣ ـ أن يقوم التوجيه الإسلامى للعلوم على حركة مستمرة ونشيطة للبحث والدراسة والاستقصاء والتطوير. فهذا أمر تحتمه الضرورة لأسباب أهمها:

ـ أن العلوم المراد توجيهها إسلاميًا تخطو خطوات سريعة نحو النمو والتقدم فى المجالات والأساليب والأدوات، فضلاً عن الأفكار والقيم والاتجاهات. وهذا يتطلب المتابعة على أسس علمية موجهة إسلاميًا.

ـ أن التقدم الذى يحدث فى هذه العلوم ـ فى الوقت الحاضر على الأقل ـ يتم فى غير البلدان الإسلامية، ومن ثم لا يتم على أسس إسلامية. وهذا يتطلب استمرار عملية التوجيه الإسلامى حماية لأبناء الأمة من التغريب والتلويث الثقافى.

ـ أن استخراج القواعد والمنطلقات الشرعية لهذه العلوم ينبغى أن يكون

عملية مستمرة تواكب نمو العلوم المراد توجيهها. ولا يتم هذا بالصورة المطلوبة ما لم يؤسس على البحث والدراسة الموضوعية.

ـ أن عملية التوجيه الإسلامى، عملية حديثة تحتاج إلى إنضاج ومهارات فى تكوين بنيات علمية جديدة وتكتسب من خلال التطبيق العلمى الرصين، الذى يؤسس على البحث والتحليل والاستنتاج والتطوير الموضوعى.

(ب) المنهج:

لقد أوردت «لجنة التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية» بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدة عناصر اعتبرتها متطلبات لتحقيق تعريفها الذى سبق ذكره لما أسمته « التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية» ويرى الكاتب أنها اجتهاد طيب نحو استخلاص أسس المنهج للتوجيه الإسلامى للعلوم. هذه العناصر هى: (المرجع ١٠، ص٩ ـ ١٠).

١ – وضع منهج إسلامى متكامل عن الإنسان والمجتمع والثقافة بحيث يمثل الإطار الفكرى العام لدراسة القضايا والموضوعات المطروحة فى مجال العلوم الاجتماعية.

٢ - وضع منهج إسلامى متميز لتلك العلوم يطلق عليه المنهج الإسلامى للعلوم الاجتماعية، يبنى عليه قيام مدرسة متميزة فى العلوم الاجتماعية تسمى: المدرسة الإسلامية فى العلوم الاجتماعية.

٣ – العودة إلى الأصول الإسلامية والتراث الإسلامى القويم عند دراسة القضايا التربوية والاجتماعية والنفسية وغيرها للاستفادة من هذا التراث.

٤ – إبراز المبادئ والمسلمات والمفاهيم والمنطلقات التى تعبر عن التصور الإسلامى للعلوم الاجتماعية وغيرها وتصحيح النظريات والمفاهيم على ضوء ذلك.

٥ – عرض نتائج البحوث الاجتماعية وغيرها على القواعد الإسلامية والتصورات الصحيحة، فما انسجم معها قبل، وما تعارض معها رفض، وما كان جديداً لا يناقض الحقائق والمسلمات الإسلامية قبل، باعتباره إضافة سليمة إلى المعرفة.

ويرى أحد الباحثين أن الحل الصحيح لهذه القضية المنهجية الجوهرية إنما يكمن – فيما يظن – فيما أسماه «بثورة التنظير فى العلوم الاجتماعية والتى تتمثل باختصار فيما يلى (المرجع١٠، ص٤٣):

١ – بدلاً من اعتماد النظريات العلمية فى نموذج العلم التقليدى على خيال الباحث أو على التخمين conjecture فى التوصل إلى أطر تفسيرية للحقائق والتعميمات الإمبيريقية، فإن الاعتماد فى النظريات الملتزمة بالتوجيه الإسلامى يكون على أطر تفسيرية مستمدة من فهمنا للكتاب والسنة مع الاستفادة من إسهامات علماء المسلمين حول الموضوع.

٢ – نستمد فروض البحوث الجارية من تلك النظريات الملتزمة بالتوجيه الإسلامى ونختبرها فى الواقع بمعناه الشامل، مع مراعاة أن اختبار تلك الفروض فى الواقع سيتطلب استخدام مناهج وأدوات أكثر ملاءمة للنظرة الإنسانية الروحية الجديدة للإنسان ككائن ذى وعى وذى إرادة يوجه حياته كفاعل، وليس كمجرد كائن منفعل بالمؤثرات الخارجية.

٣ – كلما فشلنا فى رفض فروض البحث المستمدة من النظرية (بتعبير رجال الإحصاء) ازدادت ثقتنا فى النظرية المنطلقة من التوجيه الإسلامى، وكلما ثبت لنا خطأ الفروض فإننا نعود لنراجع صحة «فهمنا» للتراث الإسلامى الذى انطلقنا منه من وجهة، كما نراجع إجراءاتنا البحثية وطرقنا فى القياس من وجهة أخرى، ثم نقوم بتعديل الموقف بحسب ما تكشف عنه المرجعة، لكى نعاود الكرة من جديد بالصورة المألوفة لنا تماماً في الدورة الدائبة.

ويتفق الكاتب مع ما ذكره أحد المتخصصين فى علم النفس عن الخطوات التى ينبغى أن تمر بها عملية التوجيه الإسلامى لعلم النفس انطلاقًا من المدخل الشامل وبطريقة يمكن أن تكون أساسًا لمنهج التوجيه الإسلامى للعلوم الاجتماعية بصفة عامة، وفيما يلى نعرض تلك الخطوات مع شىء من التصرف الذى يجعلها قابلة للتعميم على مختلف العلوم التى يراد توجيهها إسلاميًا، وسوف يضيف إليها المؤلف ما يجعلها تعبر عن وجهة نظره بالنسبة لمنهجية التوجيه الإسلامى للعلوم (المرجع١٤، ص ٨ ـ ٣١).

١ ـ التوصل إلى اتفاق على المسلمات المنبثقة من التصور الإسلامى الصحيح للكون والحياة والإنسان، والتى تعتبر أصولاً نهتدى بها فى تحليلنا النقدى لموضوعات العلوم الاجتماعية لمعرفة ما يمكن قبوله منها وما لا يمكن قبوله.

٢ ـ التمكن من العلم المراد تأصيله تمكنًا تامًا، بحيث نكون على معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم، وتطور تاريخه، ومناهجه فى البحث، ونتائجه ونظرياته، والمشكلات التى لم تحسم فيه بعد.

٣ ـ التمكن من الأصول والمبادئ الإسلامية التى تتصل بموضوعات ذلك العلم اعتمادًا على ما جاء فى الكتاب والسنة حول تلك الموضوعات أو ما يرتبط بها.

٤ ـ المعرفة بإسهامات علماء المسلمين، فيما يتصل بموضوعات وقضايا ذلك العلم، وتقويم تلك الإسهامات فى ضوء التحليل التاريخى الذى قد يكشف عن المصادر غير الإسلامية التى تأثر بها هؤلاء العلماء.

٥ ـ التحليل النقدى لإسهامات العلم الحديث فى محيط التخصص فى ضوء التصور الإسلامى الشامل إليه فى الخطوة الأولى، وفى ضوء الأصول والمبادئ الإسلامية المحددة المتصلة بذلك العلم، المشار إليها فى الخطوة الثالثة. فما اتفق مع ذلك التصور وتلك الأصول أبقى عليه، وما لم يتفق أخضع

للدراسة بهدف تعديله أو استبعاده. وذلك فى ضوء إدراك المسلمات التى استند إليها ذلك العلم فى الوصول إلى تلك النتائج.

٦ – إجراء البحوث النظرية والميدانية والتجريبية فى مجال التخصص فى ضوء التوجيه الإسلامى للإضافة إلى المعارف العلمية وإثرائها من هذا المنطلق، بما يضيف إلى الإسهامات العلمية الصحيحة، ويملأ الثغرات فى الموضوعات التى لم تنجح إسهامات العلم التقليدية فى تغطيتها على الوجه الصحيح.

٧ – التبادل العلمى بين المتخصصين فى ذلك العلم، وكذلك بينهم وبين المتخصصين فى العلوم الشرعية المرتبطة بموضوعه على أوسع نطاق ممكن، ضمانًا لتحقيق القدر الضرورى من المعرفة المشتركة التى ينطلق منها البحث العلمى المستقبلى فى هذا المجال، حتى تتحقق «وحدة المعرفة» على المستوى المؤسسى كما تحققت على المستوى البحثى.

٨ – إعادة صياغة موضوعات العلم وفق التوجيه الإسلامى، وإعادة كتابة المراجع والكتب الدراسية لتنطلق من المنظور الإسلامى. ويضيف المؤلف ما يلى:

٩ – أن المسلمات التى يراد التوصل إليها فى رقم (١١) ينبغى أن تنبثق من مفهوم العلم وفق التصور الإسلامى. فللعلم فى الإسلام خصائص متفردة ينبغى أن يكون لها حضور مستمر فى عملية التوجيه الإسلامى للعلوم.

١٠ – أن المعرفة المشار إليها فى رقم (٤) ينبغى أن ترقى إلى مستوى الدراسة والتحليل، وألا يقتصر التحليل المذكور فى هذا البند على البعد التاريخى، بل يمتد إلى تحليل كامل للمحتوى بناء على أسس التوجيه الإسلامى للعلوم التى ذكرناها آنفًا.

١١ – العمل على تكوين مكتبة غنية بالمراجع عن التوجيه الإسلامى للعلوم من حيث دوافعه ومفهومه وأسسه ومناهجه وأساليبه ونماذج له، ودراسات

نقدية للاجتهادات غير الناضجة فى مجاله.

١٢ - إيجاد حركة للتعليم المستمر فى التوجيه الإسلامى للعلوم بتنظيم مؤتمرات وندوات ودورات تدريبية تتناول مختلف جوانبه، وتكون ملتقى للعاملين فى مجاله والمهتمين به وبخاصة التقاء المتخصصين فى كل من العلوم الشرعية والعلوم المراد توجيهها إسلاميًا وتوجيه عناية خاصة به فى بحوث الدراسات العليا فى مختلف المعاهد العلمية.

رابعًا - معوقات تحقيق التوجيه الإسلامى للعلوم بالعلم الإسلامى

١ - عدم دراسة القدر الكافى من كل من القرآن الكريم وعلومه والحديث الشريف وعلومه والسيرة النبوية المطهرة والتاريخ الإسلامى وإسهامات العلماء المسلمين فى حضارة الإنسان.

٢ - ضعف مناهج اللغة العربية والثقافة الإسلامية التى يدرسها المتخصصون فى غير العلوم الشرعية.

٣ - عدم قدرة كثير من المتخصصين فى العلوم غير الشرعية على الرجوع إلى المصادر الخاصة بالقرآن وعلومه والحديث وعلومه.

٤ - عدم تقدير الكثير من هؤلاء المتخصصين للتوجيه الإسلامى للعلوم ولدوره فى تربية أبناء المسلمين.

٥ - غلبة الفكر الأجنبى على الفكر الإسلامى فى مناهج إعداد المتخصصين فى غير العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية.

٦ - عدم العناية بالتوجيه الإسلامى للعلوم فى معاهد إعداد المعلمين وتدريبهم.

٧ - عدم توفر المراجع - والكتب الدراسية بخاصة - التى تعنى بالتوجيه الإسلامى للعلوم المختلفة.

obeikandl.com

٨ – عدم عناية دور النشر بالكتب التى تعنى بهذا التوجيه وعدم تشجيعها للكاتبين فيه، على قلتهم.

٩ – عدم عناية مؤسسات الإعلام – وبخاصة الإذاعة والتلفاز – بتجلية مفهوم التوجيه الإسلامى للعلوم، والدعوة إليه، وإظهار أهميته وتكوين رأى عام لصالحه.

١٠ – ضعف المسلمين – فى الوقت الحاضر – يصيب البعض بالإحباط والقعود عن العمل على صياغة مناهج الدراسة وفق التوجيه الإسلامى.

١١ – وجود فئة دعية تتشيع للتوجيه الإسلامى للعلوم على غير علم به – تسببت فى تشويهه فى نظر الآخرين.

١٢ – انبهار البعض بالحضارة غير الإسلامية، ومن ثم يفضلونها على غيرها، ويعتبرون الأخذ بالتوجيه الإسلامى للعلوم عودة إلى الخلف.

١٣ – التلوث الفكرى الذى يتعرض له أبناء المسلمين بهدف إيجاد قناعات ضد كل ما يتصل بدينهم.

خامساً – توصيات البحث

لكى يتحقق التوجيه الإسلامى للعلوم فى عالمنا الإسلامى، وتتضح أهميته وتتكون الخبرات المناسبة لحمل لوائه، يوصى الكاتب بما يلى:

١ – أن يكون من أهم مصادر المناهج الدراسية، ما يأتى:

(أ) القرآن الكريم والسنة المطهرة.

(ب) عمل السلف الصالح.

(جـ) آراء العلماء المسلمين الموثوق فيهم من القدامى والمحدثين وإسهاماتهم فى مختلف فروع المعرفة.

(د) التاريخ الإسلامى.

(هـ) الاجتهادات الصحيحة.

(و) الحاجات الحالية للمجتمعات المسلمة وتطلعاتها إلى المعرفة.

(ز) التقدم العلمي والتقني والتربوي.

٢ – أن يقوم بناء المناهج الدراسية وتطويرها على التجريب التربوي في بلاد المسلمين.

٣ – تنقية جميع مناهج الدراسة الحالية في مختلف المعاهد الدراسية فيما قبل المرحلة الجامعية مما يخالف الدين الإسلامي وتوجيهها نحو تحقيق التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة.

٤ – تقديم الثقافة الإسلامية بين مناهج المرحلة الجامعية وتوجيه جميع مناهج هذه المرحلة في مختلف التخصصات توجيها إسلامياً.

٥ – فتح أبواب الدراسات العليا للدراسات المتعلقة بالتوجيه الإسلامي للعلوم، وتشجيع الذين يتوجهون إليها، لإعداد مجموعة من المتخصصين فيه في مختلف العلوم.

٦ – العناية بتدريس اللغة العربية، وعلومها في مختلف مراحل التعليم.

٧ – توجيه عناية خاصة للتوجيه الإسلامي للعلوم في مختلف وسائل الإعلام لنشر الوعي به والتعريف بمعطياته.

٨ – عناية التعليم الموازي بالتوجيه الإسلامي للعلوم من خلال الدورات التدريبية والندوات والمؤتمرات والقوافل التعليمية.

٩ – تشجيع الجامعات الإسلامية بخاصة، والجامعات بعامة على التأليف في التوجيه الإسلامي من حيث المنهجية والمصادر والأسس والأهداف والخطط وغيرها.

١٠ – تشجيع دور النشر على التأليف والنشر في مختلف العلوم وفق التوجيه الإسلامي.

١١ – عناية مؤسسات إعداد المعلم لمختلف مستويات التعليم بأمرين: الأول، تخطيط مناهجها وفق التوجيه الإسلامى وتنفيذها وتقويمها بمقتضاه، والثانى العمل على إعداد الدارسين فيها للقيام به بمهارة.

١٢ – تأليف الكتب الدراسية فى مراحل التعليم العام بخاصة، وفق التوجيه الإسلامى.

١٣ – حرص الكليات المتخصصة فى العلوم الاجتماعية والتربوية والنفسية والتطبيقية على إعادة صياغة الخطط والمناهج للكتب المقررة على الطلاب، وفق التوجيه الإسلامى للعلوم.

١٤ – حرص الكليات المتخصصة فى العلوم البحتة والتجريبية على تنقية الفكر الذى يقوم عليه الكتب المقررة فى هذه العلوم من جميع ما يخالف التوجيه الإسلامى، والعمل على اتساقها مع هذا التوجيه.

١٥ – العناية بدراسة إسهامات العلماء المسلمين فى اكتشاف مختلف العلوم فى المدارس والجامعات، كى يدرك الشباب دور أمتهم فى بناء حضارة الإنسان، حفزهم، من خلال ذلك على استحسان التوجيه الإسلامى للعلوم وتهيئتهم له.

١٦ – تجلية إسهامات العلماء المسلمين فى مجال التوجيه الإسلامى لمختلف العلوم.

١٧ – تفريغ مجموعات تجمع بين الموثوق فى دينهم من المتخصصين فى كل علم، والمتخصصين المناسبين فى العلوم الشرعية لتأليف كتب فى التخصصات المختلفة وفق التوجيه الإسلامى، مع تشجيعهم بسخاء.

أهم مصادر البحث

(١) **العلواني، طه جابر:**
إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم. القاهرة: دارالهداية للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) **الفاروقي، إسماعيل:**
إسلامية المعرفة المبادئ العامة - خطة العلم - الإنجازات (ترجمة: عبد الحميد أبو سليمان). واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٦م.

(٣) **المعهد العالمي للفكر الإسلامي:**
إسلامية المعرفة: المبادئ العامة، خطة العمل، الإنجازات. الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٤) **القطان، مناع خليل:**
«مفهوم التوجيه الإسلامي للعلوم وأهدافه وأسسه العامة» بحث قدم إلى مؤتمر: التوجيه الإسلامي للعلوم الذي انعقد في جامعة الأزهر في الفترة من ١٥ - ٢٠ شوال ١٤١٢هـ الموافق ٢٣ أبريل ١٩٩٢م.

(٥) **الندوة العالمية للشباب الإسلامي:**
من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ط ٣ الرياض: الندوة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

(٦) **الندوي، أبو الحسن علي:**
التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

(٧) **بحوث وتوصيات ندوة تربية الشباب المسلم ودور الجامعات فيها :الرياض:**
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إدارة الثقافة والنشر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٨) **خليل، عماد الدين:**
مدخل إلى إسلامية المعرفة مع مخطط مقترح لإسلامية علم التاريخ ط ٣. الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٩) **عيسى، محمد رفقي:**
«نحو أسلمة علم النفس» المسلم المعاصر، العدد ٤٦، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦هـ.

obeikandl.com

(١٠) رجب، إبراهيم عبد الرحمن:
«مداخل التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية، مع اهتمام خاص بمنة المساعدة الإنسانية» بحث قدم إلى ندوة: التأصيل الإسلامى للخدمة الاجتماعية، المنعقدة بالمعهد العالمى للفكر الإسلامى فى القاهرة فى الفترة من ١٠ ـ ١٣ أغسطس ١٩٩١م.

(١١) إسماعيل، زكي محمد:
«التأصيل الإسلامي لعلم الاجتماع... إلى أين» بحث مقدم إلى ندوة: علم الاجتماع المصرى ... إلى أين؟ الذى انعقد بكلية الدراسات الإنسانية للبنات، وجامعة الأزهر فى الفترة من ٣ ـ ٥ مارس ١٩٩١م.

(١٢) شوق، محمود أحمد:
الاتجاهات الحديثة فى تدريس الرياضيات. الرياض: دار المريخ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(١٣) مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية:
ندوة «التأصيل الإسلامى للعلوم الاجتماعية» التى انعقدت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عمادة البحث العلمى، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(١٤) نجاتي، محمد عثمان:
منهج التأصيل الإسلامى لعلم النفس، بحث مقدم إلى ندوة «التأصيل الإسلامى لعلم النفس» التى نظمها المعهد العالمى للفكر الإسلامى بالقاهرة، ١٩٨٩م.

obeikandl.com